

## مدخل . . .

أفاقت الأمة العربية ، بعد إغفاءة طويلة ، غير هنيئة ، تخللتها أحلام مرهقة قاسية ، لون الدم ، غزارة الدمع ، فألفت نفسها خائرة ، شديدة الخور ، قاصرة ، بعيدة القصر ، مكبلة بقيود ثقيلة من عواطف دينية جامدة وتقاليد وعادات سلوكية ملتوية ، خلقها مستعمر بفيض أو مأجور مهدم ، أو جاهل غر ، وهي كلها لانتسجم وروح العصر ، واغراض الحضارة الجديدة ، ومتطلبات الحياة الحرة الكريمة .

ولا غرابة ، إن كان نتاج آل عثمان ، ركاماً من آثام وشرور وتدهور وانحلال ، فهم لم يمشوا في تاريخهم ، المتراجع سوى دور الفاتح المستبد والظالم الطاغية . ونحن نشك أن تكون الانسانية قد أفادت من السلطنة الكبرى غير المذابح والمشائخ والدموع ! .

أفاقت الامة العربية الغافية ، للحياة ، بعد أن نفضت عنها ظلال الترك ، وليس لها من مقومات الحياة غير لغة لا يدركها الفناء ، وتراث لا يبليه الدهر ، ورسالة أجداد كرام ، عاهد الابناء أنفسهم على إعادتها ونشرها ، فأنزلوها منهم منزلة التقديس ، وما ذلك وأيم الحق ، بالشىء اليسير .

أفاقت الامة العربية فأذهلها أن ألفت الغرب المتأخر ، الذي خلفته يوم خلفت الانداس ، طفلاً غريباً قد اكتمل رجلاً قوياً ، فما فكره

وازداد اختراعه واكتشافه ، وبلغ من السيطرة على الطبيعة وتسخيرها له شأواً بعيداً ، بل راعها ان وجدته يفتزوها حاملاً سلاحه بيمينه ، وسلمه يساره ، يدخلها محارباً وتاجراً ، فهو ينبغي ان ينزل نفسه منها منزلة السيد والمعلم . وصحت الامة العربية أيضاً من هذا الروح ، وذاك الدهول ، وتخطت الحيرة والدهشة الى التصميم والتنفيذ ، فهضمت تكافح الاستعمار ، وتدفع التحكم الغربي دفعا عنيداً ، لاهوادة فيه ولا لين ، مضحية بالدم والمال لتيل الحرية واستكمال السيادة . ولكنها لما نزل في المطلع ، بيد أن ثمة انتصارات باهرة حرية بان تسجل فسوريا ولبنان ، قد تحررا تحرراً كاملاً من الاستعمار المقيت ، ومازالت بقية الاقطار العربية تجهد ساعية لانتزاع مايجب لها من سيادة وحرية .

واليوم لم يبق اجل ولا انبل ، من الواجب المفروض على شباب الامة : فنحن نشيع عهداً ذاهباً غير مأسوف عليه ، ونشهد انبثاق عهد مستجد لا يأسف علينا ان لم نكن له . فخير بنا وحالنا هذه ان نعد الى واقمنا فنتفحصه بفهم ونزاهة ، انرسم على أساس هذا الفحص مثلاً أعلى ، نسمى الى جملة واقمنا لنا .

أما الرضى بواقمنا اليوم ، قائما هو قناعة باليسير من الامر ، وأما الدعوة الى النكسة ، فاتما هي دعوة صريحة الى الانحلال والفتناء ، وأما التطور والتبدل فسنة تشمل الكون بأسره ، وقاعدة تستوي في الخضوع لها أسدث الطبيعة والمجتمع ، ويستطاع دون غلو أو مجازفة التأكيذ أن الحياة نفسها حركة ونمو واتساع . . .

فخريّ بنا أن نعمل النظر في مجموعة القيم المعنوية والاجتماعية التي تنظم اليوم حياة المجتمع العربي ، والتي تضطرب فوق أسس من الاحداث المادية والتاريخية ، عل هذه القيم لم تعد تنسجم مع ما صرنا اليه ، أو أنها أصبحت غير جذيرة بان توصلنا الى ما نطمح فيه . وعلنا والحال هذه ، نسعى الى تبديل هذه القيم وتطويرها - ان صحّ التعبير - وجعلها منسجمة وحال العصر وترقي الامم .

ان لاوزاعنا الاجتماعية - كما لكل كائن حي ، وكما لاوزاع سائر المجتمعات البشرية - مولداً ونشوءاً ولائداً وأن يكون لها نهاية وفناءً ، وما دامت هذه الاوزاع الاجتماعية ، غير متلائمة مع تصوراتنا عن المجتمع الأمثل ، هذه التصورات التي خلقها فينا تبدل واقعنا المادي والفكري ، وانتقلنا من الخضوع الى السيادة ، فليس أوجب من وضع حد لهذه الاوزاع ، وخلق اخرى مستجدة تشبه بشكل ما تلك التي نقلت الامم من دركات الانحلال والتدهور الى درجات التفوق والسيطرة . والاعراف والعادات والتقاليد ، التي ليست سوى صور سلوكية ، يتبعها الفرد ازاء نفسه واسرته ، وابتاء وطنه ، تتأثر الى حد بعيد ، بعوامل طبيعية واقتصادية ودينية وسياسية ، ومادامت هذه العوامل مستمرة التحول والتبدل ، فلم نزيق على عاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا صبغة الجمود ، ولم هذا التكلف المصطنع ووسمها بسمة الخلود والاطلاق ! ؟

## مرحلة الفكر

انا نؤمن بوجود مبادئ عامة يتطور على ضوءها البشر ويحققون انسانياتهم بالعمل وفقاً لها . ذلك أننا نؤمن بالفكر العلمي الذي يقوى على استيعاب حركة التطور المستمرة ، وعلى تفهم اتجاهها وقوتها ، ونعتبر أيضاً ، أن القول بأن المجتمع الانساني يعيش وفقاً لمبادئ قبلية مرسومة ، انكار للعلم ، وجود قاد الامة العربية في يوم، الى الاستكانة ويقودها اليها ، ان هي لم تفقه عزوفا عنه . قد يفهم من كلامنا أن التاريخ يسير وفق قوانين لا تتبدل ، ويتطور لا يقف عن التطور غير عابىء براء الناس وافكارهم وعواطفهم . أجل بل أكثر من هذا ، فاننا نعتقد أن تطور الظواهر الاجتماعية ، له صلة وثيقة بتطور أدوات الانتاج ووسائل المعيشة .

ونخشى بمد ذلك أن يظن ، أننا لانقيم وزناً للبحث والتفكير والحقيقة أن للفكر آراً كبيراً في سير التاريخ ، بل هو دافع قوي للتطور وموجه عظيم للاحداث الاجتماعية ، شريطة أن يستند اليها ويميها ويسايرها . بل لا تقف عند هذا الحد من الاعتراف بأثر الفكر ، ولكننا نذهب الى انه ضرورة جدية للتقدم وأداة فعالة للهدم والبناء ووسيلة بارعة لاظهار التناقضات الهامة في النظم الاجتماعية ، وبالتالي فهو يساعد على تبديل تلك النظم تبعاً للضرورات الناجمة . وهكذا يصبح الاستقرار والاستنتاج والمحاكمة ضرورة قصوى لتغيير الواقع وأداة طيبة لابتداع مثل عليا سامية ، ليست سوى وقائع وأحداث اجتماعية تنسجم مع التطور المادي للتاريخ .

ولانظن ، أنا اذا ظفرتنا بفكرة صحيحة نكون قد بذلنا جهداً  
مضاعفاً لان الفكرة وان كانت في تكوينها ونشوتها نتيجة أوضاع  
مادية واجتماعية وفكرية ، ووليدة تخيل واقعي ، لا تخيل محض ،  
تصبح بعد ان تنمو وتتسق مبدأ قوياً وعقيدة راسخة ، وقوة  
تتسع وتنتشر ، لتغمر آماداً من الزمان وارحاءاً من المكان ، توجه  
تفكير البشر ، وتؤثر على واقعهم المادي لتخلق واقعاً آخر مستجداً  
ينسجم معها وينطبق عليها . وهذا الواقع الجديد ليس جامداً أصلاً  
ولا يتصف بالاطلاق والاستمرار ، اذ لا تلبث الواجهات الاقتصادية  
الدائمة التحول ، ان تخلق تناقضات خطيرة في المجتمع ، ويحصل تفاوت  
بعيد بين الوقائع المادية ، والقيم الاجتماعية والتشريعية السائدة ، فيكون منه  
دافع لنشوء مبادئ وافكار ، تهدف لتحقيق الانسجام والتوافق بين  
الايضاح المادية المستجدة ، وأوضاع اجتماعية وتشريعية تلائمها وتنطبق  
عليها . فالإدانة تؤثر في الفكر ، والفكر يعمل في المادة ، وهكذا دواليك .  
وليس هنالك من ينكر تأثير المبادئ والنظريات في الانقلابات  
التاريخية وعمماها في الثورات الاجتماعية الكبرى . انما هذه المبادئ  
والنظريات لم تكن لتبرز الجماعير وتقلب الاوضاع ، إلا لكونها  
وليدة الضرورات المادية والواقعات الاقتصادية والاجتماعية . فحري  
بنا ان نعيد النظر في قيمنا المعنوية السائدة ، ووضع المسألة على  
بساط البحث ليدل على أن ثمة حاجة وضرورة واقعيتين تدعوان الى  
مبحثها : انها في حاجة الى حل .

## مشكلة المرأة

ومشكلة المرأة هي أجلّ مشاكلنا الاجتماعية شأنًا ، وأشدّها خطورة ، فالمرأة صنف الامة ، نصفها المنشيء الباني : منشيء النصف الآخر ، وباني مجده وسمادته ؛ كدنا نقول ، المرأة هي الامة . وهذه الحقيقة تجعلنا نقدر دور المرأة في حياة الدول وتأثيرها في حاضرها ومستقبلها ، ونقتنع بان قضيتها ينبغي أن تكون موضع دراسة وعناية ، وبمحت واهتمام ، خاصة في هذه الظروف الانشائية القائمة في البلدان العربية عامة ، وفي سوريا ولبنان على وجه أخص .

وايس اسهل على من يلم بتاريخ الشعوب ، ولا أيسر على من يطالع على تطور الحضارات ، من مشاهدة ان ثمة علاقة كبرى بين انحطاط وضع المرأة الاجتماعي والحقوقى في شعب من الشعوب وبين تأخر هذا الشعب في ميدان الرقي ، وتخلفه عن قافلة الشعوب التي المرأة فيها تتمتع بمركز أسمى ووضع أفضل ؛ والمشاهدات نفسها تظهر ان علاقة أيضا لانكسر ، بين تأخر الامة وتخلفها في مضمار الحضارة ، وبين عبودية المرأة وانحطاطها . وهكذا فكثيراً ما تختلط المقدمات بالنتائج في الحياة الاجتماعية ، المعقدة العناصر المتعددة العوامل المتنوعة المظاهر ، فيكون السبب نتيجة والنتيجة سبباً .

والباحث عن ظواهر الاشياء بطريقة الملاحظات والمقارنات يمكن له الوصول الى المقاييس الصحيحة التي هي وليدة تلك الوسائل . ومن أثبت المقاييس ، وأحجهاها ، الدالة على المدى الحضاري للامة بشهادة

رجال الفكر ، انما هو مركز المرأة الاجتماعي : فحيث تكون مستضعفة مهضومة الحقوق ، يكون الجبل والتأخر ، وحيث تكون ذات أهلية وكفاءة ، يكون التقدم والازدهار . هذا ما اثبتته تجارب الماضي وأحداث الحاضر . والمقياس الصحيح ، كدنا نقول القانون ، وسيلة واعية ، للفهم والتمييز والتنظيم ، عناصر البناء في كل مدى .

نحب أن نشير بادىء ذي بدء ، الى أنه ليس لفرد أياً كان أن يقرر مساواة المرأة بالرجل واشتراكها معه في بناء الحياة العامة ، كما أنه ليس للرجال ، ولا للنساء أيضاً ، ان يجيئوا بنعم اولاً . . . انما هو التاريخ الذي يجيب ، وسواء أكان جوابه سلباً أم إيجاباً فحكمه قاطع لا يرد ، اذ لافائدة من الثورة على الضرورة . وللباحث ان يستقرىء احداثه ويلاحظ تطوره وبمحكم آئذ ، لاحسب أهوائه واحلامه ، بل وفقاً للوقائع التاريخية ، والضرورات والاحداث الاجتماعية .

## الشرق والغرب

نجد لزماً علينا قبل الدخول في الموضوع ، أن نلفت النظر الى زعم من يزعمون ان هنالك حضارتان لاثنتين اثنان أصلاً ، أو لاثنتين الاقليلاً : حضارة غرب ، وحضارة شرق . ويلحون على ذكر الخصائص والصفات المادية المميزة للاولى ، والخصائص والصفات الروحية التي تمتاز بها الثانية . وقد عبر عن هذا الرأي الشاعر الانكليزي كبلينغ بقوله : «الشرق شرق ، والغرب غرب ، وان يلاتي التوأمان» . . . . .

لعل هذه الفكرة هي وايدة خرافة الدم واسطورة تفوق جنس على جنس ، وشعب على شعب، وغرب على شرق . فالفروق التي تبدو اليوم بين الناس ، مرجعها على الغالب الى طبيعة الظروف التي آيحت لهم ، من تربية واكتساب واقتصاد ، فليس هناك سلالات ممتازة ، وإنما هناك أفراد يوصفون بالامتياز في كل الجماعات. ومبدأ الترقى الذي خضع له الانسان ، منذ طوره البدائي حتى طوره الحديث ، مبدأ لا يرتى إليه الشك ، لتوفر الأدلة الكثيرة على صحته الثابتة باليقينين العلمي والتاريخي . بيد أن صورة التطور لم تعد في نظر العلماء كما رسمها دارون ، بشكل خط مستقيم ، تتدرج فيه الأحياء ، فتجد القرد في مبتداه ، والانسان الابيض في منتهاه. وهذه هي الصورة التي أوحى الى فلاسفة الجرمان ، وأدبائهم ومؤرخيهم فكرة انحطاط بعض السلالات وتفوق بعضها الآخر ، وبالتالي ، أهلية الأولى للعبودية ، وكفاءة الثانية للسيادة ، والتزام المنحطين بالخضوع ، والمتفوقين بالحكم . ان هذا الوهم الذي كان من جملة بواعث مجزرة لم تعرف الارض لها مثيلا ، لم يعد له مع الاسف نصيب من الصحة . والعلماء اليوم ، يذهبون الى أن الانسان والقرد تحذرا جميعاً من صاب سلف واحد وان جنين البشر ليقص علينا لدى كل الاقوام ، قصة التطور الصحيح .

هناك اختلاف مازال بعض العلماء ، يلحون على التمسك به ، وهو نسبة وزن المخ الى وزن الجسم بأجمعه ، على توهم علاقة بين وزن المخ وقوة التفكير . غير أن ثمة دلائل تنهض على بطلان

هذا الزعم ، اذ أن مخ الاسكيمو هو المحلي في هذا المضمار ، كما ان  
ابناء الشمس الصفر يتفوقون على الآريين البيض في هذا المضمار  
ذاته . إننا لانعتقد بتفوق شعب على شعب ، او غرب على شرق ،  
فمنذ الف عام فقط ، نستطيع التأكيذ بان غربهم هذا كان شرقنا  
اليوم ، وشرقنا كان غربهم وزيادة ! .

ولعله لم يعد خافياً على أحد ، أن الحضارة اليونانية لم تكن الا  
وليذة الحضارة المصرية والهندية وحضارات سائر الامم التي استقام  
لها السلطان على شواطئ الابيض المتوسط . وكذلك فالحضارة  
العربية قد أفادت من اليونانية والفارسية والهندية . والغرب نفسه  
استعار لتشييد بناء حضارته القائمة ، حضرات الامم الشرقية وعلومها  
واختراعاتها ، فهي اليوم ليست ملكا له وانما هي تراث الانسانية  
باجمعها : لكل أمة حجر في أساسها ولبنة في جدارها .

ويظهر أن من سنن الطبيعة الا ينشأ شيء جديد دون نزواج  
شيئين ، وفعالها في بعضها . ان هذا المبدأ يشمل النبات والاحياء من  
الحيوان والانسان . ولكنه ، كما يبدو ، ينظم المجتمع الانساني ايضاً ؛  
فلا تبرغ حضارة ولا يقوم عمران ، ولا تشع عبقریات ، الا بعد تلاقح  
المدنيات السابقة وتأثر الشعوب بعضها ببعض .

لقد كان للظروف التاريخية أثر بعيد في تراجع الشرق وانطلاق  
الغرب . فاستقام الاول الى الجمود والتسليم ، والقناعة بالواقع ، والايمان  
بالغيب . وانطلق الثاني الى المعرفة والعمل ، مؤمناً بالمادة كعنصر

أساسي في الحياة ، وبالفكر كقوة قادرة للسيطرة على الطبيعة . عاش الشرق بقلبه وخياله فألف عالم الشرق ، وعاش الغرب بفكره وحسه فألف عالم الغرب ؛ وهكذا أصبح لكل منهما صفات وخصائص تميزه دون سواه .

بيد أن هذه الفروق ليست طبيعية ازلية ، ولا ثابتة خالدة . وإنما هي من نسج الزمن وصنع التاريخ . وليس الفرق بين الشرق والغرب فرق نوع أو أزل ، وإنما هو فرق درجة وزمن . واذن فلا مبرر لهذه الضجة المصطنعة التي تستهدف فصل الشرق عن المدينة الحديثة ، ولا مبرر أيضاً ، لهذه الدعاوي التي تتجاوب اصداؤها في الشرق والغرب ، فيتطوع وعاظنا لنشرها بعد تصديقها ، وإعلانها بعد تأكيدها . إنها حكاية الاستعمار الذي يقوم على التنافس الاقتصادي والتزاحم الصناعي والتجاري . فقد شاء هذا الاستعمار أن يجعل من الشرق منجماً وسوقاً ، ومبدناً للأعراك الحربي . وهو ، لهذا ، يخشى تنبه الشعوب الشرقية ويحذر يقظتها ، فيسمى جاهداً لخلق الحرية المتوتبة ، وإبادة الفكر المتفتح . فكان الغرب بحاجة أبداً الى مسألة شرقية ، يخلقها اذا لم يجدها ويثيرها اذا سكنت ، وهو يستغلها دوماً في تمكين نفوذه ، وتثبيت سلطانه ، وكنز الذهب وجمع الرزق . كل هذا ليس غريباً ، فنظام الاستعمار القائم على الاستعمار ، من مقوماته أن يندفع الى هذه الدعاوات اندفاعاً ، وإنما الغريب أن ينخدع أبناء الشرق بادعاءات الغرب فيعتقدون من أنفسهم القصر

والقصور، ويشعرون ، وكأنهم من طبيعة تختلف عن طبيعة أبناء الغرب أو على الأقل ، يتوهمون أن تاريخهم ونقايدهم ودينهم ، تأتي عليهم ان يلتصوا من الغرب علاجاً لادوائهم الاجتماعية ! . . لقد قام وعاظنا يخلقون مسألة غريبة ، تعنى بالبحث عما يحسن ، وعما لا يحسن اقتباسه عن الغرب ، وذهب بعضهم الى حد الشك بصلاح الاقتباس ونفعه. غير اننا لانظن أن انخداعهم بترهات الغرب ، هو الذي ساقهم الى هذا الضرب من التفكير الملتوي ، بل إن ثمة نفوذاً ، نخشون ضياعه ، ومصالحة يحذرون فقدانها. ان مصير هؤلاء : سلطانهم وقوتهم ، يتصل أوثق الاتصال بمصير الجهل والفقر والتأخر في شرقنا العربي.

غير أن التبشير بالرجمة عقيم ، فلا يجب أن يكون لنا من ذلك التراث الضخم الا ما يصلح لنا زاداً في سفرنا الجاهد ، ولعل لروعة الذكرى ، واشراق الحياة العربية الاولى ، أثراً بعيداً في بعث المواهب وشحذ الملكات . ولا ضير علينا بالاقتباس ، بعدما علمنا من تلاقح المدنيت واتصال الحضارات ، فتحن بسياق التطور الجارف مضطرون الى اتباع بعض أساليب الغرب . بيد اننا لاندعو الى التقليد الاعمي والاقتباس المشوه ، بل الى كل ما ينسجم مع مصلحتنا وخيرنا وسعادتنا . . . لا فرغ « سولون » القانوني الآثيني الكبير من وضع قوانين اثينا سألوه : أهذه هي خيرة القوانين ؟ فأجاب : أجل هذه هي خيرة الانظمة لاثينا ! .

وعن هذا ، فليست قوة الانظمة ، منوطة بقربها أو بعدها عن

التراث الديني ، ولا باقتباسها عن الغرب او ابداعها في الشرق ، كما أنها لا تقاس بطلاوة المادة وفخامة العبارة وجزالة الاسلوب ، انما هي منوطة ، قبل كل شيء ، وفوق كل اعتبار بسلامتها لظروف المكان والزمان ، وانسجامها مع مصالحة الامم والشعوب .

هذه دعوتنا ، لاليس فيها ولا غموض : محاربة الغرب بمادية الغرب بالمعرفة الواعية ، والعلم العزيز ، والتنظيم المحكم ، والقوة المادية ، والمؤسسات الاجتماعية السليمة .

انما سنقتنا هذه المقدمة ، اثلا تصك آذاننا تلك المعزوفة البيضاء : ان هذا يصح في الغرب ، ولا يصح في الشرق كما أنهم من سكان غير هذا الكوكب الذي نعيش عليه . لا ، اننا سنقتني إثر الحقيقة والحق ، لا غاية لنا الا انتقاء افضل القواعد والمبادئ التي تكفل لنا التقدم والخير .

وزهونا بتقاليدنا الموروثة ، وصفاتنا الخلقية القديم ، يجب الا يكون عنصراً أصيلاً في القضية ولا سبباً باعثاً للخيلاء والغفلة عما يجري لدى امم الارض . كما أن اعجابنا بالاسلام السمج الذي كان ثورة واعية طوحت باوثان الجاهلية وفتحت آفاقاً للفضيلة والخير لا ينبغي له أن يكون سداً يحد من تطور الامة وامتداد ظلال المعرفة . ان العالم في تبدل مستمر ، دعوى ذلك يخضع لسنة النشوء والارتقاء . فليس غريباً ان تطلب عصرنا من التنظيمات في المناظر ما كان ينفي عنه في الماضي . اننا نضطرون لاحداث مؤسسات لم يعرفها اجدادنا

والإيمان بأفكارهم يؤمنوا بها ولم يقتنعوا بصحتها، ذلك أننا مضطرون  
لمسايرة التاريخ والسير أمامه ، لا الزحف خلفه أو الشد منه  
إلى وراء .

## مضج البحث

أنا وقد أقدمنا على بحث قضية المرأة ومشكلة مساواتها مع  
الرجل ودخولها الحياة العامة ، نشير إلى أننا وإن رجعنا في أحكام  
أكثر القضايا إلى الإسلام ، فسندق غير مقيدين بموقفه منها ، وإلا  
كان ذلك منا إرهاباً للدين الخنيف الذي مضى على ولادته أربعة  
عشر قرناً .

وزي لزاماً علينا أن نجري على طريقة تقينا المثار في هذه  
الدراسة الاجتماعية المعقدة . ولذا نرى أنه لا بد من انتهاج طريقة  
البحث العلمي القائمة على استقراء الحوادث ، وتفصي العلاقات الكائنة  
بينها ، ثم استنباط القوانين الناظمة لها . وهذه هي طريقة ابن خلدون  
الذي أراد أن يبحث الاجتماع الإنساني وأحوال العمران بطريقة  
برهانية . وهي نفسها الطريقة التي سار عليها بعد تحقق نجاحها في  
العلوم الطبيعية ، مونتسكيو وصميت وكونت وماركس ، وهم أكبر  
علماء الاجتماع في العصور الحديثة .

ولا ريب أن هذه الطريقة تكتنفها صعوبات حمة نظراً لتعقد

الموضوعات الاجتماعية ، وتشابكها ، وعلاقتها بمواقف البشر وعقائدهم ومصالحهم ، مما يجعل البحث عسيراً شاقاً ، غير أنه لامناص من سلوك هذه الطريقة ، لأنها وحدها ، هي التي تؤدي الى المعرفة الاكيدة عن احوال المجتمع وتطوراتاه ، وبالتالي الى سن احسن القوانين الناظمة لعلاقات الافراد بعضهم ببعض . هذا ، وسنسمى لعرض الظاهرات الاجتماعية ضمن اطارها التاريخي لان هذه الحوادث لا يمكن تجريدتها عن البيئة والزمان اللذين تحصل فيهما ، وتم ضمن دائرتيهما ، لاننا لو جردنا حادثاً ما اشوهناه ، بعرضه بصورة صناعية ، بعيداً عن واقعه وطبيعته .

هذا ، مع ملاحظتنا ، ان ليس في التاريخ حادثات عفوية ، لم تفرضها الضرورة وتحمها وقائع الحياة ، ولا حادثات يمكن اعتبارها شاذة أو سخيفة فنقف منها موقف خشوع ورهبة ، أو نتخذ منها موضوع هزل وسخرية . وان خطر لنا ذلك نكون قد اتمدنا كل البعد ، عن الفهم الواعي الصحيح ، القائم على دراسة العوامل والاسباب وربط النتائج بالمقدمات ، لكل حادث اجتماعي وواقعة تاريخية .

ان ما كان ، فقد كان بالضرورة ، نتيجة لاسباب معينة ، ودوافع وضعية محددة ، لم تفرضها ارادة عليا تتصرف بملء مشيئتها بمقدرات البشر . وكل اعتقاد بقوة غريبة ، تتصرف بالاحداث الانسانية حسب رغبتها ، ومالرغبتها حد ، هو اعتقاد ساذج يخالف الروح العلمية التي يجب أن تنظم الدراسات الاجتماعية .

ومهمة الفكر في مجتمعنا اليوم يجب أن تهدف التقريب بين

الجنسين وهدم تلك الفوارق المصطنعة القائمة ، اما بسبب توجيه سلوكي منحرف ، أو عواطف وأهواء موروثية ، أو ظروف حياة اجتماعية مرهقة .

ومشكلة المرأة من أعقد المشاكل الاجتماعية الناشئة ، لان منطق التطور وظروف حياة المجتمع ، وفكرة العدالة العامة تريدها على النهوض والانبعث ؛ وبمجموعة الاعراف والمواطف والاعتقادات تريدها على الركود والإنزواء . وتنهض في زحمة المعركة ، دعوات تبذل للإصلاح تبقى غير جديرة بالعناية والالتفات ، لانها تقوم في الغالب ، على التبشير بالخير والعدل والمساواة ، دونما نظر الى طبيعة الحوادث ، وامتناد الى أسس واعية من البحث العلمي الصحيح .

يد ان المشكلة يجب أن تبدو أقل تعقيداً وادعى للتفاؤل ، كما يجب أن يبدو غيرها من القضايا الاجتماعية والسياسية المعروضة ، اذا هي عولجت على ضوء البحث العلمي الصحيح ، في مجال المصلحة القومية الكبرى ، ومن خلال متطلبات ظروف حياتنا العامة .

